المسرحية وكثيرا من الشرور الانسانية ، ويكشف لنا فيها بدقة عن آلية الحياة السياسية ، ولكن ابطال هذه المسرحيات ذوو طبيعة غير معقدة فهم اما شريرون واما ضحايا .

واول مسرحية يصور لنا فيها شكسبير الملك شخصية انسانية متعددة الجوانب هي « ريتشارد الثاني » حيث يقدم لنا في هذه المسرحية صورة ملك طاغية تتكشف نفسه عن انسانية عميقة عندما ينقلب الى ضحية .

غير ان عبقرية شكسبير في كتابة المسرحية التاريخية تتجلى على اوضح وجه في « هنري الرابع » حيث نجد كل بطل من ابطال هذه المسرحية التي تصور الصراع على السلطة ، شخصية متميزة فريدة . ان الميزة الاساسية في هذه المسرحية هي كونها لاتصور مايجري في مقدمة المسرح التاريخي ، في الطبقة العليا فحسب ، بل تصور ايضا مايجري خارج ابواب التاريخ ، حيث يعيش اناس بعيدون عن اهتمامات الدولة العظمى ، غارقون في همومهم الصغيرة والعادية جدا . ان تصوير التاريخ على هذا النحو ونزع قناع الفخامة والتهويل عن وجهه ، اكتشاف فني شكسبيري مهم الى اقصى حد . ومما يزيد في اهمية هذا الاكتشاف ان شكسبير جسده في صورة ذات قدرة تعبيرية خارقة هي صورة الفارس المنهار فالستاف .

ان فالستاف مثال على ذلك التعقيد وذلك العمق اللذين يتصف بهما تصوير الشخصية الشكسبيرية . فليس هناك ماهو أسهل من تعداد عيوب فالستاف ولكنه مع هذه العيوب كلها ليس شخصية منفرة ، بل هو ، على العكس من ذلك ، جذاب ومحبب الى النفس . انه ، على كل حال ، أكثر شخوص المسرحية جاذبية .

وسر الجاذبية التي يتصف بها فالستاف هو حبه الطافح للحياة . ففي صورته يتجسد انتصار الحياة على الواجب الأخلاقي والالتزام تجاه الدولة . وحبه للمشاكسة يضفي على كل تصرف من تصرفاته طابع المرح .

لو أن فالستاف كان جسدا فقط لأثار التقزز في نفس المشاهد . ولكن كل مافيه من عيوب نعرفها يختفي وراء ذكائه ومرحه . انه يجعلنا عزلا ويصد بمزاحه أي اتهام نوجهه اليه . وقدرته على الهزء بكل شيء ، حتى بعيوبه ، ترغمنا على عدم تطبيق مقاييس صارمة بحقه كتلك التي نقيس بها سلوك الآخرين .

ان فالستاف في « هنري الرابع » مهرج بين الأبطال .